التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: مجالاته ومنهجية البحث فيه

Thematic Interpretation of the Qur'ān: Its Scopes & Methodology

Tafsīr Mauḍū'ī: Aspek-aspek dan Metodologi Kajian

فتحي بن جمعة أحمد*

ملخص البحث

تعدّ هذه المحاولة في دراسة مجالات التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه مفتاحا لبعض القضايا المتعلقة بالموضوع، ومدخلا لدراسة التفسير الموضوعي يسهل على طلاب العلم والباحثين فهم كلام الله، وتدبر معانيه، والاهتداء به، والقيام ببحوث تطبيقية في مجالات التفسير الموضوعي. فقد بينت أن مجالات البحث في التفسير الموضوعي أربعة وهي البحث في المصطلح، والموضوع، والمحاور، والوحدة الموضوعيّة في السورة القرآنيّة. وقد أكدت أن البحث في محاور القرآن الكريم من مجالات البحث في التفسير الموضوعي التي لم تحظَ باهتمام الباحثين، ثم توسعت في سوق الأدلة والبراهين الدالة على أن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنيّة مجال أساس من مجالات البحث في التفسير الموضوعي الذي لا ينبغي إغفاله، وإهمال شأنه. ثم بحثت في موضوع منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي، ونظراً للخلط أوالاضطراب الذي بدا لدى بعض الباحثين في هذا الصدد، وضحت المقدمات المنهجيّة العامة الضرورية للبحث في التفسير الموضوعي ثم حاولت رسم الإطار التصوري والمنهجي العام والضوابط الأساسية التي يجب أن يتبعها الباحث إذا أراد الكتابة في التفسير الموضوعي. ثم بيّنت الخطوات الأساسيّة للبحث في التفسير الموضوعي ومنها حرية الباحث في اختيار موضوع بحثه والاطلاع على أكبر عدد ممكن من التفاسير بمختلف أنواعها مع الاستفادة من التراث البشري في حقول المعرفة المتنوعة على أن تكون الهيمنة للقرآن أولا وأخيرا على الكتب الأخرى والنظريات البشرية.

الكلمات الرئيسة: القرآن، تفسير، موضوعي، مجالات، منهج.

Abstract

This article is an attempt to address the issue of the scopes and research methodology

*فتحي بن جمعة أحمد، مدير مجموعة الإشراف الدراسي، الملحقية الثقافية السعودية، أوكلند–نيوزيلندا، وأستاذ مساعد سابق، الجامعة الإسلامية العالمية–ماليزيا.

in the thematic commentary of the Holy Qur'ān. It could be considered as an introductory work for students and researchers who are interested in this field of research which will help them develop a good understanding of the meanings and teachings of the Qur'ān and its application to the real life. It may also help them undertake case studies and research in the field of thematic commentary of the Qur'ān. It has been explained in the article that the scope of the thematic commentary of the Qur'ān includes four areas; i.e. the concept, the topic, the central themes and the thematic unity of the *Sūrah*/Chapter. The article gives a special emphasis on the study of the Qur'ānic central themes as it was overlooked by some researchers. It also provides a systematic investigation on the thematic unity of the *Sūrah*/Chapter and considers it a significant area of research in the thematic commentary of the Qur'ān. The article also addresses the issue of the research methodology in the field of the thematic commentary of the Qur'ān. In this regard, the author highlights the principles, conditions and framework for undertaking research projects in this field of study and explains the major steps that should be followed in the execution of the research. These steps include freedom of choosing the research topic, freedom of benefitting from different types of *tafsīr* (interpretation of the Qur'ān) works and schools and benefitting from the human heritage in different fields of knowledge, provided that the Qur'ān should have controlling power on other books and human theories.

Key Words: The Qur'ān, *Tafsīr,* Thematic, Scopes, Methodology.

Abstrak

Artikel ini ialah satu percubaan menangani isu skop dan metodologi penyelidikan dalam tafsiran Al-Qur'ān Holy mengikut tema. Ia boleh dianggap sebagai satu kajian permulaan untuk pelajar-pelajar dan sarjana-sarjana yang meminati bidang ini penyelidikan yang akan membantu mereka merangka satu pemahaman yang baik tentang makna-makna dan ajaran-ajaran Qur'ān dan perlaksanaannya dalam kehidupan sebenar. Ia mungkin juga dapat membantu mereka menjalankan kajian kes dalam bidang penyelidikan tafsiran Al-Qur'ān mengikut tema. Artikel ini akan menjelaskan skop tafsiran Al-Qur'ān mengikut tema ini merangkumi empat bidang: konsep tafsiran mengikut tema, topiknya, tema-tema kecil dan tema umum Surah Al-Qur'ān. Artikel ini memberi satu penekanan khas pada kajian tafsiran Al-Qur'ān mengikut tema kerana ia agak kurang mendapat perhatian beberapa penyelidik. Ia juga menampilkan satu kajian sistematik pada pemahaman tema Surah dalam Al-Qur'ān dan menganggapnya satu bidang penyelidikan penting dalam kajian tafsiran Al-Qur'ān mengikut tema. Artikel juga memberikan perhatian kepada bidang metodologi penyelidikan terhadap usaha tafsiran Al-Qur'ān secara bertema. Dalam hal ini, pengkaji akan menonjolkan prinsip-prinsip, syarat-syarat dan rangka kerja untuk projek-projek projek penyelidikan dalam lapangan ini dan menerangkan langkah-langkah utama yang harus diikuti dalam pelaksanaan penyelidikan yang berkenaan. Lang-langkah ini termasuk kebebasan memilih tajuk penyelidikan, kebebasan dalam mengambil manfaat daripada jenis-jenis tafsiran Qur'ān yang berbeza serta sekolah-sekolah pemikiran yang berbeza dalam aliran tafsir serta rangka bagaimana memanfaatkan warisan tamadun manusia berlandaskan ajaran Al-Qur'ān.

Kata Kunci: Al-Qur'ān, *Tafsīr*, Tema, Bidang-bidang, Metodologi.

مقدمة

الحمد لله القائل في كتابه العزيز:﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾ (النساء: 82)، والقائل:﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوۤاْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ**﴾ (ص: 29)، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله الذي اصطفاه ربه ليبين للناس ما نزل إليهم ﴿... **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (النحل:44)، وبعد ولقد أصبح من المعلوم أنّ من أزمات المسلمين الكبرى هي هجر القرآن الكريم وإقصاؤه عن دوائر التأثير في العلم والفكر والحياة، أو في أحسن الأحوال التعامل معه تعاملاً تجزيئياً سطحياً لا روح فيه. فمن أبرز أنواع هجر القرآن الكريم وأخطرها على حياة المسلمين عدم تدبر آيات القرآن والتأثر بها. قال تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾ (الفرقان: 30)، فالوعي بهذه المسائل يقتضي البحث عن سبل تطوير مناهج التفسير عامة والتفسير الموضوعي خاصة من أجل تدبر القرآن وتطوير فهمنا لأوامره ونواهيه والتأثر بتعاليمه وتطبيقها في واقعنا. فلا جرم أن يكون الاهتمام بنظرية التفسير الموضوعي وتطبيقاته هو أحد السبل المهمة لدعم هيمنة القرآن الكريم على غيره من الكتب والنظريات والأيديولوجيات وتمكينه من الدور الريادي في قيادة الفعل البشري في مختلف المجالات. وفضلا عن هذا، فهناك حاجة ماسّة لدراسة شاملة لمجالات التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه لتكون مرجعاً مهمًّا لكل من له اهتمام بهذا الضرب من التفسير بحيث تكون منطلقا لبحوث ودراسات من شأنها أن تساهم في تطويره وتفعيله في حياة الأمة.

ولقد بدأت المكتبة الإسلامية تشهد ثراءً بالكتب والبحوث والدِّراسات في التفسير الموضوعي، وتضافرت جهود الباحثين في هذا المجال، خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، وتنامى الوعي بأهمية هذا النوع من البحوث لدى طائفة كبيرة من شباب الأمة وخاصة طلاب العلم. ولقد أصبحت لهذه الطائفة قناعة أن من بين الشروط الأساسية في مواجهة التحديات الحضارية في إعداد البدائل المعرفية والعلمية لمواجهة حركة هيمنة المفاهيم والنظريات العلمانية، وتطوير وسائل ومناهج فهم كتاب الله عز وجل، والبحث عن الهداية في شتى مجالات الحياة من خلاله.

وليس من أهداف هذا البحث العرض الشامل لجميع المؤلفات في التفسير الموضوعي، ولكن تجدر الإشارة إلى أنه وإن اختلفت جهود الباحثين في التفسير الموضوعي، فهي لا تخرج عن كونها

بحثا في النظريّة من حيث تعريف التفسير الموضوعي وتاريخه وأنواعه ومنهجه وأهميته أو بحثا في النظريّة مع إضافة نماذج تطبيقيّة من مصطلحات القرآن أو من موضوعاته أو أنها تدرس الوحدة الموضوعية لسورة من سور القرآن الكريم أو لمحور من محاوره أو تعالج الجانب التطبيقي فحسب.[1] وبعد الاطلاع على ما توفر من مادة حول التفسير الموضوعي، بدا لي أن مجالاته ومنهجية البحث فيه وتطبيقاته مازالت بحاجة إلى مزيد من البحوث، الأمر الذي يدعو إلى مزيد من تضافر جهود الباحثين في هذا المجال من أجل إحداث التراكم المعرفي النوعي اللازم في مجال دراسات التفسير الموضوعي والدفع بالبحث العلمي في هذا المجال خطوات إلى الأمام حتى تتقلص دوائر الاختلاف بين الباحثين، وتتضح المفاهيم والمناهج، ويختصر ما يجب اختصاره منها، ويستفاض فيما يجب الاستفاضة فيه، إرساءً لقواعد البحث في الموضوع وإثراءً للنقاش الدائر حوله. فيصبح كل ذلك مادة يستمد منها الفكر الإسلامي المعاصر قوة تجعله قادرا على مواجهة التحديات بأنواعها وخاصة في مجال التأصيل الإسلامي للعلوم والمعارف.

وتكتسي عملية البحث في مجالات التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه أهمية بالغة، إذ أنه بدون وضوح في مجال البحث فيه، ودقة منهجية البحث يعسر على الباحثين الارتقاء بجهودهم التطبيقيّة إلى المستوى الذي يتطلبه الكشف عن مراد الله تعالى في هداية الناس. وتبعاً لذلك وبدون نماذج تطبيقيّة تبقى نظريّة التفسير الموضوعي حبرا على ورق وعندها سيحرم الفكر الإسلامي المعاصر من الاستفادة من هذا التراث في مواجهة التحديات.

وأيا ما كان الأمر، فإنّ الغرض من هذا البحث هو تحديد مجالات البحث في التفسير الموضوعي ثم توضيح منهجية البحث فيه حتى نسهـــل على طلاب العلم والباحثين القيـــام ببحوث

---

[1] يمكن للقارئ أن يرجع في هذا المجال إلى عدد من البحوث والدراسات الرائدة، وعلى سبيل الذكر لا الحصر: محمد باقر الأبطحي الموحدي، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**؛ ومصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**؛ و زاهر بن عواض الألمعي، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**؛ وعبد الستار فتح الله سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**؛ وعبد الجليل عبد الرحيم، **التفسير الموضوعي في كفتي الميزان**؛ والشيخ محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم و المحاور الخمسة للقرآن الكريم**؛ وزياد خليل محمد الدغامين، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي**؛ وصلاح عبد الفتاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق**.

تطبيقية تكون بعون الله وتوفيقه رائدة في مجال مصطلحات أو موضوعات القرآن الكريم أو الوحدة الموضوعية لسوره. وإني لأرجو من الله تعالى أن يكون هذا المقال إسهاماً متميِّزا في سبيل تطوير الجوانب المنهجية في نظرية التفسير الموضوعي.

مجالات البحث في التفسير الموضوعي

تناول الباحثون موضوع أنواع التفسير الموضوعي وألوانه باختصار، فقد تحدث عبد الستار فتح الله سعيد عن نوعي التفسير الموضوعي: التفسير الموضوعي العام وهو الذي يبحث في الموضوعات التي تربطها وحدة الغاية فقط، والتفسير الموضوعي الخاص وهو الذي يتناول الموضوعات التي تربطها وحدة الغاية والمعنى (بين أطرافها وأفرادها) وهو التفسير الموضوعي الحق في نظره. ثم تحدث عن بعض مجالات التفسير الموضوعي: أي التفسير الموضوعي الوجيز، والتفسير الموضوعي الوسيط، والتفسير الموضوعي البسيط.[2] وأما بقية الباحثين فمعظمهم مجمع على أنّ أقسام التفسير الموضوعي ثلاثة: (1) التفسير الموضوعي للمصطلحات القرآنيّة، (2) التفسير الموضوعي للموضوعات القرآنيّة، (3) التفسير الموضوعي للسور القرآنية، أو ما يسمى بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنيّة.[3] ويبدو لي أنه من الأفضل مناقشة هذا الموضوع تحت عنوان مجالات البحث في التفسير الموضوعي ويتضمن المبحث أربعة مجالات وهي: البحث في مصطلحات القرآن الكريم، والبحث في موضوعات القرآن الكريم، والبحث في محاور القرآن ومقاصده الكبرى، والبحث في الوحدة الموضوعيّة للسورة القرآنيّة.

أ. التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني

وهو الذي يختار فيه المفسر كلمة من كلمات القرآن الكريم – بصرف النظر عن كونها

---

[2] عبد الستار فتح الله سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي** (مصر: دار التوزيع و النشر الإسلامية، ط2، 1411هـ/1991م)، ص24-27.

[3] انظر على سبيل المثال مصطفي مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي** (دمشق: دار القلم، 1989م)، ص23-29؛ وصلاح عبد الفتاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق** (عمان: دار النفائس للنشر و التوزيع، 1418هـ/1997م)، ص52-59؛ وفهد بن عبد الرحمن الرومي، **أصول التفسير و مناهجه** (الرياض: مكتبة التوبة، 1413هـ)، ص66-69؛ وعلي جنيد أرن، **نظرية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** (بحث غير منشور يوجد بمركز أبحاث الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 1998/1999)، ص21-24.

وردت قليلاً أو كثيراً في السياق القرآني –[4] ثم يطبق عليها منهجية البحث متتبعاً إياها في القرآن كله أو في سورة من سوره، ويبذل قصارى جهده في الإحصاء الشامل لها واستقراء الآيات المتعلقة بها تعلقاً مباشراً وهي الآيات التي وردت فيها الكلمة أو أحد اشتقاقاتها أو تصريفاتها، والآيات المتعلقة بها تعلقاً غير مباشر وهي الآيات التي لم ترد فيها الكلمة وإنما لها علاقة بها، ويبحث عن دلالاتها المختلفة في العلوم والمعارف المتنوعة على حسب الطاقة والمعرفة بفروع العلوم والمعارف، ويبين موقعها من نسيج المصطلحات أو الموضوعات أو المحاور القرآنية.

وبهذه الطريقة يصل الباحث إلى نتائج تختلف، ولاشك عما وصل إليه أصحاب كتب الأشباه والنظائر، أو أصحاب مفردات ألفاظ القرآن الكريم الذين توقفوا –في الغالب– عند حدّ بيان دلالة الكلمة في موضعها من غير ربط بين مواضع ورودها واستعمالاتها في كل موضع.[5] وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى صعوبة التمييز –أحياناً– بين المصطلح والموضوع القرآني لطبيعة التقارب بينهما، ذلك أن المصطلح يصير أحياناً موضوعاً مثل مصطلح الجهاد أو العدل أو النفاق أو الصبر. ومن ثَمَّ وجب على الباحث أن يتبع منهجاً دقيقاً في بحثه الموضوعي وعلى رأسه الدقة في تحديد موضوع ومجال بحثه. وأحياناً تنتظم شبكة من المصطلحات في موضوع واحد مثل موضوع الفساد فهو يتضمن كثيراً من المصطلحات مثل الظلم والإسراف والعلو والاستكبار والاستفزاز وغيرها. فالبحث في المصطلح القرآني وإن كان له علاقة بالبحث في الموضوع القرآني فإنه – في نظر الباحث – يبقى مجالاً مستقلاً للبحث في التفسير الموضوعي.[6]

---

[4]يشترط بعض الباحثين أن يكون المصطلح المدروس قد تكرر وروده كثيرًا في القرآن، أو تناوله القرآن من جوانب شتى، انظر:الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق**، ص52؛ أرن: **نظريّة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص25. وفي هذا تضييق من دائرة البحث، ولا أرى هذا رأياً سديدا إذ إن كل كلمة من كلمات القرآن حتى وإن وردت مرة واحدة قد يجد فيها الباحث في هذا العصر أو في العصور المقبلة معاني عظيمة ويحبر فيها مجلدات كثيرة اعتماداً على منهج التفسير الموضوعي.

[5]لمزيد من الاطلاع انظر: مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ص23.

[6]وهذا خلاف ما ذهب إليه أرن إذ يرى أن البحث في هذا المصطلح القرآني لا يستقل بذاته في التفسير الموضوعي، وإنما يندرج ضمن البحث في الموضوع القرآني، انظر: ص21–22. ومن الدراسات المعاصرة التي تناولت هذا النوع الدراسات الآتية: "**كلمة الحق في القرآن الكريم وموردها ودلالتها**" لمحمد الراوي (في جزأين)؛ و"**التفسير والتأويل في القرآن**" لصلاح عبد الفتاح الخالدي، وقد ركزّ فيه على مصطلح التأويل في السياق القرآني؛ و"**المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله، الرب، العبادة، الدين)**"، لأبي الأعلى المودودي؛ و"**الأمة ودلالتها العربية**

ب. التفسير الموضوعي للموضوع القرآني

يختار الباحث موضوعا من موضوعات القرآن الكريم دون قيد أو شرط[7]- ويدخل في هذا النوع القصة القرآنية- ثم يجعل همه الموضوع ذاته. فينظر في الآيات القرآنية التي عرضته، والآيات الأخرى التي وردت فيها ألفاظ أخرى لها ارتباط ما به، والآيات التي عرضت موضوعات تتصل به، أو تساعد على توضيحه، ويتدبر فيها برؤية شمولية، ولا يُشْغِل نفسه بذكر القراءات والتحقيقات اللغوية وصور البلاغة ووجوه الإعراب وأسباب النزول، وما إلى ذلك مما تزخر به كتب التفسير الموضعي، إلاّ بمقدار صلتها بموضوع البحث وما تخدم منه.[8] ولا مانع من الاستعانة بمصادر أخرى من أجل المزيد من الاطلاع على ما كتب حول الموضوع المختار، على أن تكون الهيمنة أولاً وأخيراً لكتاب الله تعالى، وأن تكون الرؤية القرآنية واضحة المعالم في نص الموضوع ونسيج مصطلحاته، وتنضيد لَبِنَاتِه، وتنسيق أجزائه.

والرأي السائد عند معظم الباحثين في التفسير الموضوعي أن البحث في الموضوع القرآني يعدّ أشهر مجالات البحث في هذا النوع من التفسير وأكثرها تأليفاً ودراسة. وقد يكون سبب ذلك راجعاً إلى أن ميدان البحث فيه أوسع، ومعالجته الواقعية لحاجات ومشكلات الأمة أوضح وظهوره في آي القرآن أدعى لمتابعته وكشف معانيه.[9]

والقرآنية" لأحمد حسن فرحات.

[7]لقد حدد الخالدي مجالات الموضوع وأهداف وطبيعة الزمن الذي يجب على الباحث اختياره، ومنها أن يكون له أبعاد تربوية أو إصلاحية ...، ولا أرى ضرورة لهذا التحديد، لأنه يقتل الإبداع ويضر بالفكر الإسلامي خاصة أن كلام الله تعالى كله مجال للتدبر. انظر: الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ص54.

[8]استفدت في عرض هذه الفقرة من: الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، ص67، والخالدي: **التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق**، ص54-55.

[9]ولقد أُلِّفتْ في هذا المجال بحوث كثيرة يكتفي الباحث بذكر بعضها على سبيل التمثيل والذكر لا الحصر والاستيعاب: **"الصبر في القرآن"** للشيخ يوسف القرضاوي؛ و**"المكر في القرآن الكريم"** لزياد خليل الدغامين (والموضوع عبارة عن دراسة تطبيقية في كتابه **منهجية البحث في التفسير الموضوعي**، ص51-91؛ و**"الشورى في القرآن"** لصلاح عبد االفتاح الخالدي (والبحث عبارة عن نموذج تطبيقي للتفسير الموضوعي للموضوع القرآني ورد في كتابه **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ص177-236؛ و**"الفساد السياسي الفرعوني (دراسة معرفية إسلامية)"**، فتحي بن جمعة أحمد (وهي رسالة ماجستير غير منشورة أنجزها الباحث سنة 1996م)؛ و**"الوحدانية والتوحيد في القرآن الكريم، المعية في ضوء القرآن الكريم، التبعية في ضوء القرآن، العلم والعلماء**

ج. التفسير الموضوعي لمحاور القرآن الكريم ومقاصده الكبرى

يختار الباحث أو مجموعة من الباحثين محوراً من محاور القرآن الكريم أو مقصدا من مقاصده الكبرى مثل محور التشريع أو القصص القرآني ثم يحاول تدبر آيات القرآن وسوره وكلماته وموضوعاته فيقسمها على أجزاء المحور المدروس وينضدها تنضيداً متقنا رفيعا مما يجعل من المحور بناءً محكماً متناسق الأطراف في أحسن تقويم، يجد فيه القرّاء – على اختلاف مشاربهم– متعةً ونوراً وهدايةً فينهلون منه كُلٌّ بحسب طاقته وحاجته.

وقد يبدو البحث في هذا المجال صعب التحقق ولكنه ممكن جداً لأنه مثلما نجد في القرآن مصطلحات وموضوعات وسور، هناك محاور تنتظمها جميعاً ويترتب على هذا أن التفسير الموضوعي في المجالات المذكورة (المصطلح، الموضوع، والسورة) تخدم إلى حد بعيد التفسير الموضوعي لمحاور القرآن الكريم، فهو يستوعبها ويهضمها جميعاً فينتج منها شيئاً آخر مخالفاً لها بوصفها أبحاثاً مستقلة.

ولكن المشكلة التي يتعرض لها الباحث في هذا المجال هي عدم اتفاق العلماء الذين تناولوا محاور القرآن الكريم بالبحث والدراسة أو أشاروا إليها في تفاسيرهم أو في كتبهم بشكل عام وما إلى ذلك على عدد محدد أو عناوين معينة. ولقد اختلفوا حتى في تسميتها بمحاور القرآن أو علوم القرآن أو مقاصد القرآن. ونظرا لعدم تناول الباحثين في التفسير الموضوعي لهذا المبحث أي عدم إدراجهم له ضمن مجالات البحث في التفسير الموضوعي – وذلك في حدود علمي طبعاً – أرى ضرورة التوسع فيه قليلاً بما لا يخل بالموضوع فأعرض آراء بعض العلماء والباحثين حول محاور القرآن بإيجاز.

1. **الفخر الرازي**: قرر الإمام الفخر الرازي في تفسيره **مفاتيح الغيب** أنّ مدار القرآن على أربعة مسائل فقال:"والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى".[10]

في ضوء القرآن الكريم والآخرة ومشاهدها في ضوء القرآن" لعبد الستار فتح الله سعيد (وأورد المؤلف هذه الموضوعات الخمسة بوصفها نماذج من التفسير الموضوعي في كتابه "**المدخل إلى تفسير الموضوعي**"، ص95 -272).

[10]فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ/1981م) مج 1، ص179 .

2. **شاه ولي الله الدهلوي:** حدد في كتابه **الفوز الكبير في أصول التفسير** محاور القرآن بأنها خمسة فقال: "ليعلم أن المعاني التي يشتمل عليها القرآن لا تخرج عن خمسة علوم:

أ. **علم الأحكام:** كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام.

ب. **علم الجدل:** وهو المحاجة مع الفرق الأربعة الباطلة: اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين.

ج. **علم التذكير بآلاء الله:** كبيان خلق السّماوات والأرض وإلهام العباد وما يحتاجون إليه، وبيان الصفات الإلهية.

د. **علم التذكير بأيام الله:** وهو بيان لتلك الوقائع التي أحدثها الله تعالى إنعاماً على المطيعين، ونكالاً للمجرمين. كقصص الأنبياء ــ عليهم الصلوات والتسليمات ــ ومواقفهم مع شعوبهم وأقوامهم.

هـ. **علم التذكير بالموت وما بعد الموت:** كالحشر والنشر والحساب والميزان والجنة والنار".[11]

لقد عرض المؤلف علوم القرآن التي ذكرها دون التعرض لعلم الأحكام وبدأ الفصل الأول بعلم المخاصمة الذي يندرج ضمن المحور الثاني وهو علم الجدل. وتجدر الإشارة إلى أنه كان يعرض الأفكار ويناقشها بطريقة أشبه ما تكون بالبحوث والدراسات الفكرية وليس بطريقة التفسير الموضوعي. ويكفي أنه حدد مجال البحث في القرآن الكريم وهو المحاور الخمسة المذكورة ويبقى أمر بلورتها وتهذيبها وتطويرها عهدة ملقاة على عاتق الباحثين.

3. **الإمام محمد عبده:** يقرر الإمام **محمد عبده** أنّ ما أُنزِل القرآن لأجله أمور هي:

أ. التوحيد: لأن الناس كانوا وثنيين وإن كان بعضهم يدعي التوحيد.

ب. وعد من أخذ به وتبشيره بحسن المثوبة، ووعيد من لم يأخذ به وإنذاره بسوء العاقبة.

ج. العبادة التي تحيي التوحيد في القلوب وتثبته في النفوس.

د. بيان سبيل السعادة وكيفية السير فيه الموصل إلى نعيم الدنيا والآخرة.

هـ. قصص من وقف عند حدود الله تعالى وأخذ بأحكام دينه وأخبار الذين تعدوا حدوده ونبذوا أحكام دينه ظهريا لأجل الاعتبار واختيار طريق المحسنين ومعرفة سنن الله في البشر."[12]

---

[11] شاه ولي الله الدهلوي، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، تعريب: سليمان الحسيني الندوي (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1987م)، ص19-21.

4. **الإمام محمد الطاهر بن عاشور**: بعد استقرائه الشامل لآيات الذكر الحكيم وتجربته الطويلة في تدريس التفسير، واطلاعه الواسع على العلوم الشرعية والإنسانية، حدد ابن عاشور محاور القرآن في ثمانية وسماها المقاصد الأصلية التي جاء القرآن الكريم لتبيانها وجعلها تحت المقدمة الرابعة **"فيما يحق أن يكون غرض المفسر"** فقال: "أليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن [التفسير] أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها فلنعلم بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا وهي ثمانية:

الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم الاعتقاد الصحيح.

الثاني: تهذيب الأخلاق....

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة....

الرابع: سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن والقصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها....

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم....

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم لتلقي الشريعة ونشرها....

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير...

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول...".[13]

والذي يطلع على تفسير التحرير والتنوير يعلم أن الشيخ ابن عاشور لم يبوب تفسيره على المحاور المذكورة وإنما كان يشير إليها بحسب ما يقتضيه سياق تفسير الآيات، ولكنه جعل تفسيره يدور في فلك هذه المحاور الثمانية وهو عمل جليل وقابل للتطوير والاستفادة منه غاية الاستفادة في تطوير التفسير الموضوعي.

5. الإمام أبو الأعلى المودودي: يؤكد أبو الأعلى المودودي أن مدار القرآن كله على مصطلحات أربعة هي: **الإله والرب والدين والعبادة**. ويجزم بأنّ هذه المصطلحات تشكل المحاور التي تدور حولها رسالة القرآن وكل ما في القرآن ليس له أي غرض آخر سوى توضيح وشرح واحد من هذه المصطلحات أو أكثر.[14]

---

[12] محمد عبده، **دروس من القرآن** (بيروت: دار إحياء العلوم، 1984م)، ص25.

[13] محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ج1، ص39 -41.

[14] أبو الأعلى المودودي، **المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم** (الكويت: دار القلم، 1971م).

6. فضل الرحمن: كتب كتاباً باللغة الإنجليزية عنوانه **"المحاورالأساسية للقرآن"** **"Major Themes of the Qur'an"**. وأكد على حاجة المسلمين في هذا العصر إلى الفهم الشمولي للقرآن الكريم وذلك بالتركيز على تفسير محاور القرآن الأساسية، ذلكم الأمر الذي يضمن للقارئ تذوق كتاب الله والاهتداء به. وقد حدّدّ محاور القرآن الأساسية على النحو الآتي:

أ. الله (God).

ب. الإنسان بوصفه فردا (Man as individual).

ج. الإنسان في المجتمع (Man in society).

د. الطبيعة (Nature).

ه. النبوة والوحي (Prophethood and revelation).

و. الغيبيات (Eschatology).

ز. الشيطان والشر (Satan and evil).

ح. ظهور الجماعة المسلمة (The emergence of the Muslim community).

ط. الوضع الديني للجماعة المسلمة في مكة (The religious condition of the Muslim community in Mecca).

ي. أهل الكتاب واختلاف الديانات/تعدد الأديان.[15] (People of the Book and different religions).

وهذه محاولة يجب التنويه بها لما تضمنته من أفكار وآراء قيمة تصلح أن تكون منطلقاً أساسياً لأسلمة العلوم الإنسانية بصفة عامة ولاشك أنها تحتاج إلى تطوير وتهذيب.

7. الشيخ محمد الغزالي: في أواخر الثمانينات من القرن العشرين الميلادي بدأ الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله– يفكر في تفسير القرآن تفسيراً يكمّل ما كان ناقصاً في التفاسير المَوْضِعِيَّة "التجزيئية"، فكتب كتاباً عن محاور القرآن الكريم سماه **"المحاور الخمسة للقرآن الكريم"**، وقال في مقدمته: "والقرآن الكريم مع استفاضة معانيه وكثرة سوره يمكن القول بأنه يدور على

[15]Fazlur Rahman, **Major Themes of the Quran**, 2nd Ed. (Minneapolis, U.S.A.: Bibliotheca Islamica, 1989), pp. 1-170.

محاور خمسة".[16] ثم تحدث عن المحاور الخمسة وهي: الله الواحد، الكون الدال على خالقه، القصص القرآني، البعث والجزاء، وميدان التربية والتشريع.[17]

يظهر من خلال عرض هذه المحاور أن الشيخ الغزالي – رحمه الله – كانت تحكمه فكرة التمهيد لمن بعده ولمن يواصل الجهد في هذا المضمار، وهذا فضلاً عن سيطرة البعد الفكري الدعوي على أسلوبه، ولئن كان جهده مرتبطا ارتباطاً وثيقاً بآيات القرآن فإنه لم يكن وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي.[18]

هذا وإن تنوع آراء العلماء في تحديد محاور القرآن ومقاصده الكبرى لا يقتضي إلغاء بعضها بعضا ولا ينتقص من قيمتها بل إنها تشكل تنوعاً وتطويراً ضرورياً لكي يبقى القرآن الكريم حياً في النفوس ولكي يبقى الباب مفتوحاً لتفسير محاور القرآن تفسيراً موضوعيًّا.

د. التفسير الموضوعي للسورة القرآنية

تعترض العلماء قديماً وحديثاً صعوبات في تقرير الوحدة الموضوعيّة لأي سورة من سور القرآن. ومن هذه الصعوبات التناسب الموضوعي بين آيات السورة الواحدة وموضوع السورة والتناسب بين موضوع السورة والسور الأخرى أو القرآن ككل وصعوبة التعرف على موضوع السورة الأساسي نظراً لتعدد موضوعاتها. وأحياناً يصعب الربط الموضوعي بين مقدمة السورة وجوهرها ونهايتها وأحياناً تغيب الدقة في تحديد موضوع السورة فيكون الموضوع فضفاضاً يصلح أن يكون موضوعاً لعدة سور. و مثال ذلك أن يقال: إنّ موضوع سورة النساء هو تنظيم المجتمع الإسلامي ولاسيما أن هذا الموضوع عام تشترك فيه جميع آيات القرآن وليست سورة النساء فحسب. ومن الصعوبات اختلاف العلماء في تحديد موضوع السورة الواحدة، ومنها أيضاً الالتزام بتفسير السورة تفسيراً موضوعيًّا؛ فتجد أحياناً من يفلح في تحديد موضوع السورة الرئيسي والموضوعات الفرعية المتعلقة به ولكن لا يحالفه الصواب في منهجية التفسير. فقد يتزلق في تفسير آيات السورة آية آية ثم تغيب عنه الرؤيـــة الموضوعية للسورة التي يفسرها. وقد ينسى أن بحثـــه

---

[16] محمد الغزالي، **المحاور الخمسة للقرآن الكريم** (القاهرة: دار الصحوة ودار الوفاء، ط 4، 1994م)، ص20.

[17] **المرجع نفسه**، ص23-24.

[18] لقد كتب الشيخ الغزالي كتباً قيمة في التفسير الموضوعي بعد ذلك نخص بالذكر منها "**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**".

في التفسير الموضوعي وليس في الفقه أو الفكر الإسلامي وما إلى ذلك. وقد يأتي في ظن الباحث أو المفسر أنّ التفسير الموضوعي للسورة القرآنيـــة هو عرض الأفكار أو الأحكام التي تضمنتها السورة عرضاً سريعاً وعاماً دون الغوص في الكشف عن مراد الله والبحث عن الروابط المختلفة بين الموضوعات والكلمات وموضوع السورة. ولقد أفرزت هذه الصعوبات اختلافات بين العلماء والباحثين إلى درجة أنّ بعضهم أنكر البحث في الوحدة الموضوعية وأثاروا شبـــهات حوله.[19]

ولقد تولى بعض الباحثين الرد على هذه الشبهات والانتصار لفكرة البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية باختصار[20] أو بإفاضة.[21] ومع إعجابي بمتانة الرد النظري المردف بنموذج تطبيقي حول الوحدة الموضوعيّة في سورة الحجر الذي قام به الدغامين أودّ أن أؤيد محاولات البحث الموضوعي في السورة القرآنية بوصفها مجالا مهماً من مجالات التفسير الموضوعي.

يبدأ العلماء والباحثون ردودهم على منكري الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية بسرد أقوال العلماء الذين قالوا بالوحدة الموضوعية[22] بصرف النظر عن كونهم طبقوها في تفاسيرهم أو بحوثهم أم لا. وعادة ما يكثر اقتباس قول الإمام الشاطبي في المسألة[23] وملخصه أن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهي تكون قضية واحدة وتهدف إلى غرض واحـــد وتسعى لإتمامه وإن تعددت معانيها، ومثاله في هذا الصدد سورة المؤمنون. قال: "وسورة المؤمنين نازلة في قضيّة واحدة، وإن اشتملت على معانٍ كثيرة".[24]

ويبدو لي أن موطن القوة في آراء هؤلاء العلماء لا يكمن فقط في كونهم من كبار علماء الأمة وإنما في قدرتهم الفائقة على استقراء آيات القرآن وسوره والتمرس بعلومه، ومنها التفسير، فتوصلوا إلى هذا الرأي وهو الإقرار بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية. فالبحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية يكمن في طبيعة القرآن ذاته وفيما يلي بيان ذلك.

---

[19] انظر على سبيل المثال : سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ص24- 25.

[20] مثل أرن في بحثه **نظرية التفسيرالموضوعي للقرآن الكريم**، ص22 - 24.

[21] مثل : الدغامين في كتابه **منهجيـــة البحث في التفسير الموضوعي**، ص95 - 121.

[22] مثل أبي بكر النيسابوري والزمخشري وفخر الدين الرازي وأبي بكر بن العربي وبرهان الدين البقاعي.

[23] أبو إسحاق الشاطبي، **الموافقات** (بيروت: دار الفكر العربي، ط2، 1395هـ/1975م)، ج3، ص412-420 (المسألة الثالثة عشرة من الكلام على الدليل الأول الكتاب العزيز).

[24] **المصدر نفسه**، ص416.

لا يختلف اثنان في أن عدد سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة. ولفظ "سورة " علم على سور القرآن فحسب. قال ابن عاشور: "وتسمية القطعة المعينة من عـــدد آيات القرآن سورة من مصطلحات القرآن وشاعت تلك التسمية عند العرب حتى المشركين منهم".[25]

ولقد تكرر لفظ سورة مفرداً ومجموعاً عشر مرات في سياقات متنوعـــة في القرآن وهي:

1. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: 23).

2. ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 64).

3. ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ ٱلْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: 86).

4. ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ *وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: 124-125).

5. ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: 127).

6. ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: 38).

7. ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: 13).

8. ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: 1).

9. ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: 20).

---

[25] ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج1، ص84.

وبالنظر الموضوعي لهذه الآيات وتتبع استعمالات لفظ "سورة" أو "سور" نكتشف الحقائق الآتية:

أ. أن القرآن مكون من مجموعة من السور ولكل سورة شخصية تختلف عن الأخرى، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿**فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ...**﴾، وقوله تعالى: ﴿...**قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...**﴾، وقوله تعالى: ﴿...**قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ...**﴾.

ب. استقر أمر تحدي القرآن للعرب على أن يأتوا بسورة واحدة ﴿...**فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...**﴾ وكما هو معلـــوم أن أقصر سور القرآن هي سورة العصر والكوثر والنصر وتشتمل كل منها على ثلاث آيات. وقد عجز العرب عن مواجهة هذا التحدي ويبدو لي أن عجز العرب عن الإتيان بسورة مثل سور القرآن وإن قل عدد آياتها له علاقة وثيـــقة بموضوع الوحدة الموضوعية للسورة. ذلك أنه محال على الإنسان حتى وإن كان من بلغاء العرب أن يؤلف من الكلام المقطّع المتعدد المعاني والعناصر موضوعا خاصاً كامـــلاً تاماً أي "سورة". والتحدي واقع في قصار السور وطوالها. فقصار السور أدعى لمعارضة التحدي من جهة أنها قصيرة. فالعجز عن الإتيان بسورة ذات موضوع واحد في ثلاث آيات (أي سورة قصيرة) دلالة قاطعة علي أنه كلام معجز. وطوال السور أدعى لمعارضة التحدي من جهة أنّ الإنسان له مجال أوسع لبناء موضوع ما في شكل سورة. ولكن نجد القرآن الكريم حتى في السور الطويلة ذات الآيات الكثيرة، والمصطلحات المتعددة، والموضوعات المتنوعة التي تعددت فيها أسباب ومواقع النزول يقدمها لنا بوصفها وحدةً مستقلة. والتحدي بسورة تحدي باسم معلوم المسمى والمقدار والمعنى عند العرب وقت التحدي. فالسورة آيات ذات معاني وموضوع مستقل.

ج. يتضح من الآيات المذكورة أن السورة قد تخدم غرضاً واحداً أو ترتكز على موضوع واحد مثل فضح المنافقين وإبراز خطورتهم ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿**يحذرُ المنافقونَ أن تُنزَّلَ عليهم سورةٌ تُنبِّئُهُمْ بِمَا في قُلُوبِهِمْ...**﴾ (التوبة: 64). وقد جاءت سورة المنافقون فاضحة لهم وسميت باسمهم. ويظهر هذا أيضا في قوله تعالى: ﴿**وإذا أُنزلَتْ سورةٌ أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله...**﴾ (التوبة: 86)، فموضوعها الإيمان بالله وما يتطلبه من جهاد مع رسوله ﷺ. ويظهر أيضا في قوله تعالى: ﴿... **فإذا أُنْزلت سورةٌ مُّحْكَمَةٌ وذُكِرَ فيها القتالُ...**﴾ (محمد: 20). فالسورة المحكمة هي السورة التي وصفت آياتها بالإحكام، أي عدم التشابه وانتفاء الاحتمال، فهي واضحة الدلالة على المراد حتى وإن تنوعت كلماتها وتفرعت موضوعاتها.كما يظهر معنى الوحدة الموضوعيـــة في وجـــوب العمل بســـورة النور كاملة. وقد ســـماها الله تعالى ســـورة مع تعدد آياتها وموضوعاتها

وتعدد الأحكام المتعلقة بها. إذاً يتضح لنا أن الوحدة الموضوعيّة للسورة القرآنيّة أمر أكده القرآن الكريم كما هو واضح من خلال تتبع لفظ "سورة" في السياق القرآني.

ويبـــدو أنه من المفيد أن أضيف إلى ما سبق بعض أقوال العلماء في هذه المسألة دون تكرار لما ذكره السابقون. فنبدأ بتعريف السورة تعريفاً يتماشى مع روح التفسير الموضوعي. قال ابن عاشور – رحمه الله–: "السورة هي قطعة من القرآن معينة ببداية ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تامٍ ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النزول أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة."[26] وكما هو واضح من التعريـــف أن سور القرآن – أي ســـورة – لها غرض تامٌ أي موضوع واحد أو مقصد واحد تدور في فلكه معـــاني آيـــات تلك السورة. وقد أصاب ابن عاشور في صياغة هذا التعريـــف على طريقة الأصوليين فجاء التعريـــف جامعاً مانعاً.

وفضلاً عن حسم النزاع في المسألة بالبحث الموضوعي في الآيات القرآنية كما تقدم وبتحـــديد دقيق للسورة القرآنية كما سبق، أود أن أقتبس من الدرر التي تضمنها كتاب **النبأ العظيم** لمحمد عبدالله درّاز –رحمه الله– ما يزيد المسألة وضوحاً. فلقد لخص أقوال العلماء في تقرير الوحدة الموضوعيّة للسورة القرآنيّة تلخيصاً بليغاً فقال:

> إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره ويترامى بجملته إلى غرض واحد كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة. وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها كما لا غنى عن ذكر أجزاء القضية.[27]

عبّر دراز عن مسألة الوحدة الموضوعيّة في السورة القرآنيّة بشكل معاصر مستوحي من نـــظريات الطب والفزيولوجيا حول الإنسان في تكوينه ووظائف أعضائه فقال:

> تلتحم (المعاني في السورة) كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجـــاه

---

[26] **المصدر نفسه**.

[27] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم** (الكويت: دار القلم، د .ت.)، ص159.

معين وتؤدي في مجـــموعها غرضاً خاصاً كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية.[28]

وتأصيلاً لصحة رأيه قال دراز:

فأي شئ أكبر شهادة وأصدق مثالاً من سورة نعرضها عليك هي أطول سور القرآن كافة وهي أكثرها جمعاً للمعاني المختلفة وهي أكثرها في التنزيل نجوماً وهي أبعدها في هذا التنجيم تراخياً. تلك هي سورة البقرة التي جمعت بضعاً وثمانين ومائتي آية وحوت فيما وصل إلينا من أسباب نزولها نيفاً وثمانين نجماً وكانت الفترات بين نجومها تسع سنين عددا.[29]

هذا وقد كان عرضه وتفسيره لوحـــدة نظام ســـورة البقرة لا بأس به.[30] فقـــد أثنى عليه الدغامين قائلا: "لقد امتاز عمله بالدقة والضبط،"[31] وتأسى الشيخ الغزالي بالشيخ دراز وأثنى عليه أيضاً فقال: لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة وإن كثرت قضاياها وتأسيت في ذلك بالشيخ محمد عبدالله دراز عندما تناول سورة البقرة. وهي أطول سورة في القرآن الكريم. فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة.[32]

هذا وقد حدد الشيخ الغزالي مهمة المفسِّر في هذا المجال من مجالات التفسير الموضوعي وهي أن "يتناول السورة كلها يحاول رسم صورة شمسية لها تتناول أولها وآخرها وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها وتجعل أولها تمهيداً لآخرها وآخرها تصديقاً لأولها."[33] وقد فعـــل ذلك في كتابه **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم** حيث حاول الشيخ الغزالي تفسير جميع سور القرآن الكريم سورة سورة، ابتداءً بسورة الفاتحة وحتى سورة النّاس، تفسيراً موجزاً لخص فيه موضوعات السور.

وإذا حاولنا تلخيص ما سبق نؤكد أنّ السورة القرآنيّة من خلال التتبع الموضوعي للفظ سورة في القرآن الكريم وعند العلماء نجد أنها قد تكون مختصه بموضوع محدد ولها غاية واحدة

---

[28] **المصدر نفسه**، ص155.

[29] **المصدر نفسه**، ص157 -158.

[30] **المصدر نفسه**، ص163-211.

[31] الدغامين، **منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص11.

[32] محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم** (القاهرة: دار االشروق، 1998م)، ص5.

[33] **المصدر نفسه**.

تدور حولها آياتها وقد تتضمن موضوعات متعددة أو مختلفة ولكن بينها روابط وثيقة تدور في فلك شخصية السورة المستقلة. ولهذا على المفسِّر أو الباحث أن يختار سورة من سور القرآن ويفسرها تفسيراً موضوعياً في ضوء منهجية البحث التي سيتم شرحها لاحقاً. ولا أرى حرجا في أن يختلف الباحثون أو المفسّرون حول تحديد موضوع واحد للسورة الواحدة. فالله تعالى يؤتي فضل فهم كلامه من يشاء والتفسير في عمومه قائم على الاجتهاد وفق القواعد والشروط المعلومة والاختلاف بعد التدبّر واتباع المنهج الصحيح ثراء وليس ضعفاً أو مدعاة إلى إنكار القول بوحدة الموضوع في السورة.

وفضلاً عن بحث الشيخ دراز في الوحدة الموضوعيّة في سورة البقرة وتفسير الشيخ الغزالي لسور القرآن الكريم وسيراً مع الالتزام بضرب خمسة أمثلة على الأقل لكل مجال من مجالات البحث في التفسير الموضوعي نضيف إلى ما سبق الأعمال الآتية:

1. عبد الرحمن حبنكة الميداني، **تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع** (كتاب).[34]
2. زياد خليل محمد الدغامين، **الوحدة الموضوعية في سورة الحجر دراسة تطبيقيّة**.[35]
3. صلاح عبد الفتاح الخالدي، **تفسير موضوعي لسورة قرآنية : سورة محمد**.[36]

منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي

يكتسي البحث في هذا الموضوع أهمية بالغة. لأن البحث في التفسير الموضوعي أمر علمي يجب أن يقوم على منهج علمي وخطة مدروسة. ولذا فينبغي على الباحث أن يلتزم بذلك المنهج وتلك الخطة فضلاً عن ضرورة تحلّيه بالصفات الخلقيّة والعلمية التي يتطلبها البحث العلمي الموضوعي عامة والبحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم خاصة.

---

[34]هو عبارة عن كتاب حاول فيه الشيخ الميداني- رحمه الله- تدبر سورة الفرقان كوحدة موضوعية واستنباط قواعد تدبر القرآن الكريم من خلال هذه السورة. انظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني، **تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع** (دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 1412هـ/1992م).

[35]الدراسة عبارة عن نموذج تطبيقي للبحث في الوحدة الموضوعيّة. انظر: الدغامين، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي**، ص141-169.

[36]البحث عبارة عن نموذج تطبيقي للبحث في الوحدة الموضوعيّة، وهو جزء من كتابه: **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ص239-294.

والناظر في محاولات الباحثين في المسألة المنهجيّة في التفسير الموضوعي لا يخرج برؤية واضحة متكاملة تجعله يباشر البحث في الكشف عن مراد الله سواء من خلال المصطلح أو الموضوع أو المحور القرآني أو الوحدة الموضوعيّة في السورة القرآنيـــة. وقد يُعزَى هذا الغموض المنهجي إلى اختلاف الباحثين في ضبط خطوات البحث في التفسير الموضوعي وفضلاً عن الخلط بين المنهج أو المنهجيـــة والخطوات التطبيقية للمنهج ذاته. كما اختـــلف الباحثون حتى في التسميات لنفس الشيء. فعلي سبيل المثال لقد صرّح فتح الله سعيد قائلا: "نعني بالمنـــهج الطريقة أو الخطوات التي ينبغي اتباعها والتقيد بها ممن يتصدى للتفسير الموضوعي...".[37] وأما الألمعي فقد كتب كتاباً بعنوان **"دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"**، فتحدث عن البحث في الوحدة الموضوعيّة للسورة والموضوع القرآني وبعض خطوات البحث بشكل بسيط وعام.[38] وأما محاولة الدغامين فهي الأخرى لا تصل إلى مستوى توضيح المنهجيّة المطلوبة ولا خطوات البحث في التفسير الموضوعي على الرغم من أن عنوان كتابه **منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي**. وعلي سبيل المثال فقد تحدّث الدغامين عن القضايا المنهجيّة التي تضمنها كتاب الصدر **"المدرسة القرآنيّة"** في معرض نقاشه للجهود الحديثة في بيان الوحدة الموضوعيّة في القرآن وغفل عن إدراجها ضمن البحث في منهجية البحث في الوحدة الموضوعيّة في القرآن.[39] وفضلاً عمّا سبق فقد وقع الباحث في خلط منهجي واضح فلم يميّـــز بين شروط المفسّر المعروفة مثل العلم بالمكي والمدني وأسباب ومواقع النزول – وقد سمى هذه الأخيرة بملاحظة البعد التاريخي والبيئي – وبين الخطوات التطبيقيّة في البحث في التفسير الموضوعي مثل اختيار عنوان البحث وما إلى ذلك.[40] ولهذه الأسباب وغيرها اقتضت طبيعة البحث في منهجيّة التفسير الموضوعي تقسيم هذا المبحث إلى قسمين: قسم يتعلق بالمقدمات المنهجيّة العامة ونعالج فيه قضـــايا منهجيّة عـــامة وضوابط لابد منها. وقسم يتعلق بتوضيح الخطوات التطبيقيّة للسير مع مجالات البحث في التفسير الموضوعي التي تقدم شرحها.

---

[37] سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ص56.

[38] انظر: الألمعي، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص21-23.

[39] الدغامين، **منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص21 -49.

[40] **المصدر نفسه**، ص35-49.

1. المقدمات المنهجيّة العامة

المقدمة الأولى: يجب أن يفرِّق الباحث بين منهج أومنهجيّة البحث وطريقة البحث في التفسير الموضوعي. إن المنهج هو: القواعد الأساسية والتصورات النظرية التي ينطلق منها الباحث في تدبره للقرآن وتعامله معه بُغية الكشف عن مراد الله تعالى من خلال البحث في المصطلح أو الموضوع أو المحور القرآني أو السورة القرآنيّة وفي ضوء هذا ينصبغ جهد الباحث بالإطار المنهجي الذي اختاره مثل منهج التفسير بالمأثور أو بالرأي أو المنهج المقارن وما إلى ذلك أو بها جميعا. وأما الطريقة فهي الخطوات التطبيقيّة المنتظمة التي يقوم الباحث باتباعها والالتزام بها أثناء بحثه في إطار المنهج الذي اختاره. فالطريقة تتعلق بالخطوات التفصيليّة المتواليّة التي بها ينجز الباحث عمله ويحقق أهدافه.

المقدمة الثانية: هناك خلل في التصور الفكري لدي بعض الباحثين وعامة الناس وهو أن التفسير الموضوعي يغني عن التراث التفسيري بمختلف أنواعه. وهذا خطأ يجب إصلاحه بالتأكيد منذ البداية على أن "التفسير الموضوعي لا يغني أبدا عن التفسير الموضعي بل هو تكميل له وجهد ينضم إلى جهوده المقدورة".[41] بل إن التفسير الموضوعي مرتبط في وجوده بدرجة أولى بالتفسير الموضعي. ويؤكد الصدر هذه الرؤية بقوله:

> إذا فالتفسير الموضوعي في المقام الأول هو أفضل الاتجاهين في التفسير وليس معنى هذه الأفضلية استبدال اتجاه باتجاه آخر ونبذ التفسير التجزيئي كليّةً والأخذ بالتفسير الموضوعي بديلاً عنه وإنما إضافة اتجاه إلى اتجاه لأن التفسير الموضوعي ليس إلاّ خطوة إلى الأمام بالنسبة إلى التفسير التجزيئي.[42]

المقدمة الثالثة: إذا سلمنا بأن مجال التفسير الموضوعي هو كلام الله تعالى وأنه وثيق الارتباط بالتفاسير الموضعية فيجب على الباحث حينئذٍ أن يتصف بشروط المفسر ويلتزم بضوابط التفسير وضوابط البحث العلمي المعلومة والتي نجملها فيما يلي:

ـ أن يكون المفسر ملما بأصول العلوم المتصلة بتفسير القرآن كعلم القراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وأصول الفقه والتوحيد واللّغة العربية وفروعها ونحو ذلك.

ـ يجب على الباحث أن يتحرى الصواب والصدق والضبط في النقل ويتجنب العوائق الفكرية وخاصة التقليد والظن والتحيز والأفكار المسبقة.

---

[41] الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، ص6.

[42] محمد باقر الصدر، **المدرسة القرآنية** (سوريا: دار التعارف للمطبوعات، 1409هـ)، ص41. (بتصرّف).

ـــ يجب على الباحث أن يتحلى بالشجاعة الأدبية وهي الجهر بالحق بصرف النظر عن من يصدق في حاله الحقيقة المكتشفة كمثل ظلم السلاطين.

ـــ يلاحظ في الباحثين المعاصرين عدم الإلمام ببعض أصول العلوم المتصلة بالتفسير أو الإخلال بواحدة منها أو أكثر. وهذا لا يجب أن يـــكون عائقاً عن البحث في التفسير الموضوعي فمن كان من هذا الصنف فليراجع في المسألة التي لا يعلمها أهل الذكر ســـواء بسؤالهم فيجد الجواب أو بالرجوع إلى أمهات الكتب في المسألة أو بالرجوع إلى تفاسير العلماء السابقين لأنه من مقومات المنهج الصحيح ألاّ يقول ما لا يعلم ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الإسراء:36). وأيضاً يجب ألاّ يبقى مكتوف الأيدي أمام ذلك فعليه أن يطلب العلم لأنّ العلم بالتعلم وهو أمر كسبي كما يظهر في قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِيۤ إِلَيْهِمْ فَٱسْأَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (النحل: 43).

المقدمة الرابعة: يجب على الباحث أن يبذل قصارى جهده في الاستعانة بجميع أنواع المصادر[43] التي تساعده على البحث في التفسير الموضوعي على أن تكون آيات القرآن الكريم هي الحكم والفيصل أولاً وأخيراً على روح الموضوع المدروس. قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ...**﴾ (المائدة: 48). ويجب أن يكون عقل الباحث مصفاة للمعلومات المتوفرة حول موضوع بحثه فلا يقبل شيئاً إلاّ بعلم ودليل. ولا يطوع كـــلام الله ليجعله متـــوافقاً مع فكرة واردة في إحدى البحوث أو نظرية أو مفهوم وارد في إحدى التخصصات والعكس صحيح أيضاً.

وفي هذه النقطة المنهجيّة يرى الدغامين أنّه ما كان ليس من القرآن لا يجب أن يدخل في التفسير الموضوعي أي لا يدخل أيّ نص بأي طريقة سوى الآيات في تشكيل العناصر الأساسية للموضوع وهذا يعني أن نصوص السنّة النبويّـــة الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين والعلمـــاء من بعـــدهم والدراسات الشرعيّة والفكريّة الإسلاميّة بأنواعها وأبحاث العلوم التجريبيّة والإنسانيّة وما إلى ذلك لا يصلح ولا يساعد في التفسير الموضوعي. حيث قال:

---

[43] يدخل في هذه المصادر: التفاسير بأنواعها (بالرأي وبالمأثور)، وباختلاف خلفيات المفسرين، وكذلك الأبحاث والدراسات القرآنيّة والفكريّة وأبحاث العلوم الإنسانيّة التوحيديّة والوضعيّة على حد سواء وما إلى ذلك.

إذا أردنا التعرف عن كثب على حقيقة موقف القرآن في موضوع ما لا ينبغي أن ندخل معه غيره من العناصر التي تشكل بنود البحث وهيكليته كأحاديث الرسول (صلى الله عليه و سلم) وأقوال الصحابة والتابعين... أو لمن بعدهم من علماء الأمة أو غير ذلك من أقوال تعطى تفصيلات أكثر عن موقف القرآن الكريم...آثرنا أن يكون البحث في التفسير الموضوعي مقتصرا على القرآن الكريم فحسب....[44]

وإنّني أرى خلافا لما ذهب إليه الدغامين أنّه لا يوجد أي مبرر علمي وجيه للجنوح إلى مثل هذه الآراء. بل إن هذا الموقف المنهجي مجانب للصواب ممّا يضر بالبحث وخاصّة التفسير الموضوعي ويضيق من آفاقه ويقلل من أهميته ويحدد مجال الانتفاع به. قال تعالى: ﴿... **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (النحل: 44). وقال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيراً* وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (النساء: 82-83).

وحتى في الدِّراسات القرآنية المعاصرة تحتل السنّة النبويّة الشريفة مكاناً مرموقاً في أي بحث تحليلي لقضايا القرآن وموضوعاته. وعلى حدّ تعبير عبد القادر فإنّ السّنة إلى جانب القرآن تعمل بوصفها مصدراً أساسياً لتكوين الصورة الكلية في عمليّة التحليل والتأويل لآيات القرآن الكريم كما أنها تؤدِّي دوراً مهماً في مراحل إنشاء وتشغيل الأداة المنهجيّة للتحليل والتأويل لقضايا القرآن أو لمسائل التراث الإسلامي وعلى سبيل المثال نستطيع أن نقوم باستقراء الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالمجال السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي وغيره ونجمع بينها ثم نرتب في ضوئها القيم والقضايا التي جاء بها القرآن الكريم. وفضلاً عن ذلك فإن السنّة تزودنا بعدد كبير من "الأوصاف" التي حين تضاف إلى الأوصاف القرآنية تمكننا بيسر من تأويل القضايا والظواهر في الوجود.[45]

وعليه فإذا تأكدّ أنّ أيّ باحث تخلى عن السنّة الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين والعلماء في التفسير فإن بحثه لا يمت إلى التفسير الموضوعي بصلة لأنه أخَّل بأحد أهم شروط التفسير السّالفة الذكر. وفضلاً عن هذا فإنّ لنا في علمائنا عامة والمفسِّرين خاصة أسوة حسنة

---

[44] الدغامين، **منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص32 و44.

[45] التيجاني عبد القادر، "التفسير والتأويل وعلم السياسة"، **مجلة إسلامية المعرفة**، (السنة 3، العدد15، خريف1418هـ/1997م) ص73-74. (بتصرف).

في استيعابهم لعلوم ومعارف عصرهم وتوظيفها في مجال اختصاصهم. وهذا ما جعل ابن عاشور يفصل القول في علاقة العلوم بأنواعها بالتفسير فقال:

إن علاقة العلوم بالقرآن على أربعة مراتب:

الأولى: علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة.

الثانية: علوم تزيد المفسِّر علما كالحكمة (الفلسفة) والهيئة وخواص المخلوقات.

الثالثة: علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له مثل: علم طبقات الأرض والطب والمنطق.

الرابعة: علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي.[46]

وهكذا يتبين أن العلوم والنصوص التي لا تدخل في التفسير والتفسير الموضوعي هي التي لا علاقة لها بالقرآن إما لبطلانها أو لكونها لا تعين على خدمته كما بيّنها العلاّمة ابن عاشور.

ويؤكّد الصدر الحقيقة نفسها وهي أنّ التفسير الموضوعي يستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني. فقال في تحديد طبيعة عمل المفسر الموضوعي أنه: "يركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائديّة أو الاجتماعيّة أو الكونيّة ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل وما قدمه الفكر الإنساني من حلول وما قدمه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ".[47] ويشير عبد القادر إلى أنّ المعطيات الثقافية والعلمية التي يدفع بها الوجود بشقيه الإنساني والطبيعي تشارك في صنع الصورة الذهنية في عملية التفسير بعد الخروج من مرحلة الفحص والتحليل اللّغوي التي تستخدم فيها علوم اللّغة والقراءات. ولا بد من التنبيه إلى أن هذه المشاركة قد تكون إيجابية تدعم صورة الوحي وقد تكون مشاركة سلبية تضاد معطيات الوحي وتشوشها.[48]

المقدمة الخامسة: إذا سلمنا بأن التراث المعرفي والتجارب التاريخيّة والعلمية تشكل ثراءً للتفسير الموضوعي فالإشكال المنهجي الذي يثار هنا هو من أين يبدأ الباحث عمله؟ هل من واقع الحياة والتجارب الإنسانيّة أم من القرآن؟ أم من الواقع إلى القرآن ثم من القرآن إلى الواقع؟ أم من

---

[46] ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج 1، ص45. (المقدمة الرابعة).

[47] **المصدرنفسه**، ص34.

[48] عبد القادر، **"التفسير والتأويل وعلم السياسة: دراسة في المفهوم القرآني والمتغير السياسي"**، ص49.

القرآن إلى الواقع ثم من الواقع إلى القرآن؟ لقد أكّد الصدر أنّ التفسير الموضوعي يسير في اتجاه واحد وهو الانطلاق من الواقع والانتهاء إلى القرآن. لأنّ ضمّ التجربة البشريّة إلى التأمل القرآني ينتج عنه الفهم الإسلامي القرآني الصحيح والمفاهيم الربانيّة السليمة الضروريّة لقيام المجتمع العابد.[49] يقول الصدر: "إذاً في التفسير الموضوعي يلتحم القرآن مع الواقع والحياة لأن التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن بوصفه القيم والشاهد الذى تحدد على ضوء مفاهيمه ونظراته الربانيّة أطر ما ينبغي أن تكون عليه اتجاهات الواقع الإنساني".[50]

وقد حاول الدغامين الانطلاق من هذه الفكرة فأكد أنّ التفسير الموضوعي إذا انطلق من الواقع في اتجاه القرآن يفرز الدواء والشفاء. وإذا انطلق من القرآن في اتجاه الواقع ينتج الكشف والبناء. ومنتوج الطريقتين مجتمعتين هو النهضة والشهود الحضاري. ثم بيّن رأيه أنه يجب الانطلاق من القرآن إلى الواقع وليس العكس فقال: "لا تكتمل هذه النظرة إلاّ بالانطلاق إلى الحياة ابتداءً من القرآن الكريم."[51] ويبدو لي أن الشكل المنهجي المناسب لطبيعة التفسير الموضوعي هو أن تكون القاعدة العامة هو الانطلاق من القرآن الكريم ثم الاتجاه إلى الواقع ثم الرجوع إلى القرآن الكريم. وهكذا يكون الانطلاق من قاعدة صلبة صحيحة يتزود منها الباحث بالمفاهيم والتصورات والمواقف القرآنيّة ثم ينزل إلى واقع الحياة فينظر ويفكر ويقارن ويصنف ويعدل من مفاهيمه ثم يعود بالرؤيتين: (الرؤية الواقعيّة والرؤية القرآنيّة الأوليّة) إلى القرآن من جديد فيعرضهما على القرآن ويخرج برؤية واضحة تتجلى فيها هيمنة القرآن على غيره من الكتب والنظريات والأفكار والمفاهيم والتجارب الإنسانيّة، وتلك هي الرؤية الموضوعية. ويلي هذا المنهج في الرتبة أن ينطلق الباحث من الواقع فيتجه إلى القرآن ثم يعود إلى الواقع وهكذا دواليك. فلا يخضع القرآن للتجارب البشرية بل يجب أن يخضع التجارب الإنسانية للقرآن ليرى حكم القرآن فيها إما بقبولها وإمّا ببيان فسادها وبطلانها ومن ثم دحضها.

المقدمة السادسة: يجب على الباحث أن يكون واعياً بطبيعة موضوع بحثه ومتطلباته. لأنّ بعض الموضوعات تتطلب متابعة مراحل التطور التشريعي أو التربوي أو التسلسل التاريخي

---

[49] **المصدرنفسه**، ص34.

[50] **المصدر نفسه**، ص35.

[51] الدغامين، **منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص31.

لأحداثها. والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها موضوع الجهاد وموضوع تحريم الخمر والربا والقصص القرآني. ومن الموضوعات ما لا يحتـــاج إلى هذا الاتساق المنهجي فيضع الباحث الآية في مكانها المناسب من هيكل الموضوع وينضدها تنضيداً متقنا حتى يكون الناتج موضوعاً متكاملاً.

المقدمة السابعة : يجب على الباحث أن يكون واعياً بأن جهده جهد بشري قد يكون عرضة للتهذيب أو الزيادة أو النقد أو النقض أو جميعها، لأنّ كلام الله لا يشبع منه العلـــماء ولا يخلق من كثرة الترداد ولا تنتهي عجائبه. وعليه فيجب على الباحث أن يتقن عمله ويفسح المجال للتطوير والتقويم في كل عصر.

خطوات البحث في التفسير الموضوعي

سنركز في هذا المبحث على الخطوات المنهجيّة المشتركة بين مجالات البحث في التفسير الموضوعي وهي المصطلح والموضوع والمحور القرآني والسورة القرآنيّة. ونلخص هذه الخطوات فيما يلي :

أولاً: تحديد موضوع التفسير: للباحث الحرية التامة في اختيار موضوع بحثه.[52] أي أن يختار مصطلحا أو موضوعاً أو محوراً أو سورة ويتناولها بالتفسير الموضوعي وفق المقدمات المنهجية الآنفة الذكر ومتتبعاً للخطط التي يتولى شرحها لاحقاً. علما بأنّ تحديد الموضوع تحديداً دقيقاً يساعد كثيراً على الإحاطة به من جميع جوانبه ويسهل على الباحث تميزه عن بقية الموضوعات. هذا وينبغي أن يسند الموضوع إلى القرآن الكريم أو يضاف إليه.

ثانيا: البحث عن المعنى اللّغوي الاشتقاقي للموضوع: وذلك بإرجاع الكلمة المحورية فيه إلى أصلها الثلاثي ثم البحث عن معانيها في معاجم اللّغة المشهورة مثل معجم **مقاييس اللّغة** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 595هـ)، ومعجم **لسان العرب** لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ)، وهو مرجـــع أساسي، ذلك لأن ابن منظور قد اختصر في مؤلفه هذا المعاجم السابقة وهي **تهذيب اللغة** للأزهري و**المحكم** لابن سيده و**الصحاح** للجوهري و**الجمهرة** لابن دريد و**النهاية** لابن كثير.

---

[52] يضع بعض الباحثين مثل صلاح عبد الفتاح الخالدي، و علي جنيد شروطاً في اختيار موضوع البحث كأن يكون الموضوع المختار "من الموضوعات الحية" أو تحتاج إليه الأمة. وفي نظري أن كل موضوعات القرآن موضوعات حيّة ولا يوجد به موضوعات ميتة وأخرى حية، وهذا التضييق من دائرة البحث، تضييق لا مبرر له من ناحية ومن ناحية أخري يضر بثراء التفسير الموضوعي ويضيق من أفقه. انظر: أرن، **نظرية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص25؛ والخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ص54.

وبعد هذا ينبغي الرجوع إلى الكتب التي تبيِّن معاني الكلمات والألفاظ القرآنيّة مثل **مفردات ألفاظ القرآن** للراغب الأصفهاني (ت495هـ)، **وكتاب التعاريف** ليحي بن سلام البصري، **وكتاب عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** للسمين الحلبي (ت756هـ)، ومعجم **"الكليات"** لأبي البقاء أيوب الحسيني الكفوي (ت1094هـ)، **والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** لمحمد فؤاد عباد الباقي، **ومعجم ألفاظ القرآن الكريم** الصادر عن مجمع اللّغة العربية بمصر.

ثالثاً: جمع الآيات المتعلقة بموضوع البحث: على الباحث أن يجمع جميع الآيات التي لها علاقة بموضوع بحثه سواء كانت هذه العلاقة علاقة مباشرة بمعنى أن الكلمة المحوريّة في الموضوع ظاهرة فيها إما بأصلها أو بإحدى تعاريفها أو اشتقاقاتها أو علاقة غير مباشرة بحيث تساعد هذه الآيات على توضيح بعض قضايا الموضوع المدروس بشكل من الأشكال دون أن يكون قد ذكر فيها الموضوع صراحة. ويجب على الباحث ألاّ يعتمد على المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم فحسب بل يجب عليه أن يقرأ القرآن بنفسه من أوله إلى آخره ولو كان عدة مرات حتى يتذوق حلاوته و يستكشف معانيه.

رابعاً: البحث عن تفسير الآيات المجموعة أو آيات السورة: في أكبر عدد ممكن من كتب التفسير بأنواعها، أي كتب التفسير عند أهل السنّة والجماعة أو المعتزلة أو الشيعة، سواء كانت هذه التفاسير من التفسير بالمأثور أم بالرأي أو التفسير الموضوعي والاطلاع على الأبحاث القرآنيّة والفكريّة والتراث الإنساني حول الموضوع المدروس. كما يجب ملازمة اليقظة والحذر وتحري الصواب والدّقة في التفسير خاصّة عند النقل أو التوثيق والاقتباس.

خامساً: تدبّر المادة المجموعة وتصنيفها وتوزيعها على هيكل الموضوع: بعد مرحلة جمع المعاني اللّغوية والآيات وتفاسيرها وما كُتِبَ حول الموضوع يبدأ المفسِّر الموضوعي مرحلة التدبّر والنظر في المادة المجموعة من أجل استخراج المعاني المختلفة للموضوع المدروس وتصنيفها تصنيفاً علمياً منطقياً يراعي القضايا الأصلية والقضايا الفرعية والعلاقة بينهما مع مراعاة الترابط المعرفي المنطقي بين المعاني اللّغوية والفكرية الإنسانية والمعاني القرآنية بشكل يخدم تكامل الموضوع ووضوح معالمه. على أن يكون الطابع العام لهذا العمل مصبوغاً بروح التفسير الموضوعي للقرآن وليس بشيء آخر.

سادساً: كتابة البحث: يبدأ الباحث بكتابة مقدّمة البحث يبيِّن فيها الموضوع الذي اختاره وأسباب اختياره ومضمونه وأهدافه ومنهجية بحثه، وخطة البحث. ثم يبدأ بالجانب اللّغوي المتعلق بموضوعه،[53] فيعرضه بدقّة مع التركيز على المعاني اللّغوية التي لها علاقة بالمعاني القرآنية. وبعد هذا يتناول الباحث بالنقاش الإطار العام للموضوع وهو تكرر الآيات الدّالة على الموضوع والمصطلحات المستعملة بشكل مباشر للدلالة على الموضوع والمصطلحات القريبة منه وما إلى ذلك. ثم يتابع تفسيره الموضوعي وفق الخطة التي ضبطها لبحثه. ثم يكتب الخاتمة يلخص فيها نتائج البحث فيشير فيها إلى القضايا التي لم يتمكن من نقاشها والتي يمكن أن تكون مجال بحث مستقل في المستقبل. هذا وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقة مستقاة من التجربة أنّ كل باحث يبدع في عرض موضوعه بشكل يختلف عن الآخرين ولا حرج في مثل هذا التنافس بين الباحثين في إتقان البحث وحسن إخراجه للناس.

خـــاتمة

إن من أصعب الأمور دراسة الظاهرة القرآنيّة لأنّ عطاء القرآن متجدِّد لا ينفد ولا ينضب له معين ولا يمكن للباحثين فرادى أوجماعات أن يحيطوا بثماره. ولهذا فما هذه المحاولة في دراسة مجالات التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه إلاّ مفتاح لبعض القضايا المتعلقة بالموضوع وجهد بسيط متواضع ومحاولة قد يشتد عودها ويصلب بالتنمية والتقويم وتصحيح الأخطاء وتدارك النقائص وتلافي الهفوات. ولعله من المفيد في هذا المقام تلخيص نتائج هذا البحث.

فلقد سلطت الضوء على مجالات البحث في التفسير الموضوعي فبينت أنّ مجالات البحث في التفسير الموضوعي أربعة وهي البحث في المصطلح والموضوع والمحاور والوحدة الموضوعيّة في السورة القرآنيّة. وقد أكدت أنّ المحاور من مجالات البحث في التفسير الموضوعي و لم تحظَ باهتمام الباحثين ثم توسّعت في سوق الحجج والأدلة للبرهنة على أن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنيّة مجال أساس من مجالات البحث في التفسير الموضوعي والذي لا يجب التغافل عنه أو إلغاؤه.

ثم بحثت في موضوع منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي ونظراً للخلط أوالاضطراب الذي بدا لدى بعض الباحثين في هذا الصدد فضلت أن أقسِّم الموضوع إلى مبحثين: المبحث الأول

---

[53] إذا اختار الباحث تفسير سورة من السور تفسيراً موضوعياً فعليه أن يبدأ بتعريف السورة من حيث تسميتها وأسباب ومواقع نزولها ثم يبين محورها أو محاورها الأساسية وأهدافها باختصار.

يتعلق بالمقدمات المنهجيّة العامة وقد حاولت أن أرسم فيه الإطار التصوري المنهجي العام والضوابط الأساسية التي يجب أن تدور في فلكها خطوات البحث في التفسير الموضوعي. كما يجب أن تكون تلك المقدمات السبع حاضرة باستمرار في أذهان الباحثين في هذا العلم. وأما المبحث الثاني فقد وضحت فيه الخطوات الأساسيّة للبحث في التفسير الموضوعي ولعله من المفيد التذكير بالبعض منها وخاصة حرية الباحث في اختيار موضوع بحثه والاطلاع على أكبر عدد ممكن من التفاسير بمختلف أنواعها مع الاستفادة من التراث البشري في حقول المعرفة المتنوعة على أن تكون الهيمنة للقرآن أولاً وأخيراً.

وأخيراً أرجو أن أكون قد أضفت عملاً جديداً ونافعاً في مجال التفسير الموضوعي لعلّه يكون حافزاً للمزيد من الاهتمام به. و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم. والله أعلم.